تحسين حال الفلاح

بتنمية الثروة الحيوانية

للأستاذ عريان يوسف سعد

من بضعة أشهر كتبت كلمة عن طريقة عملية لتحسين حال الفلاح بتوزيع إناث العجول من البقر والجاموس على صغار الفلاحين حتى إذا مرت بها سنتان صارت جاموسا وبقرا يحرث الأرض ويدر اللبن فيتحول عدد كبير من أولئك الفلاحين من عمال زراعيين إلى مزارعين صغار وتتحول بيوتهم من الفقر والجوع إلى الشبع واليسار النسبي طبعا .

وقد أشرت فى تلك الكلمة إلى أن تلك الطريقة سينشأ عنها إذا عممت صناعات زراعية.

وأحب الآن أن أفصل ما أجملته فى تلك الكلمة عن تلك الصناعات وما تدر من ربح:

اللبن الذى يدره البقر والجاموس فى بلاد المملكة المصرية لايزال حتى الآن يحول إلى زبد وجبن (قريش) بطرق قديمة ربما يرجع بها العهد إلى آلاف السنين. كل فلاحة تتصرف فى لبن جاموستها أو بقرتها بنفسها كما رأت أمها وجدتها تفعلان، لم تنتفع بحديث الآلات ولا حديث النظم الاقتصادية فهى لا تزال تترك اللبن ثلاثة أيام فى أوعية مكشوفة من الفخار حتى يتخمر وتنفصل القشدة عن اللبن فتأخذ القشدة وتضربها بيدها تحولها إلى زبدة وأما اللبن الباقى فتضعه فى الفرن حتى ينفصل عنه قسم كبير من الماء ثم تعمله جبنا رخيصا يكاد يباع بغير ثمن .

والبلاد تموج بخريجى المدارس الزراعية العالية والمتوسطة ومن أهم ما تعنى به تلك المدارس صناعة الألبان ولو أن الجاموس والبقر كثر عدده فى كل قرية لأمكن لكل ثلاثة أو أربعة من خريجى تلك المدارس أن يؤلفوا شركة بسيطة فيشتروا اللبن ويحولوه إلى جبن وزبد بحديث الآلات وعلى أحدث النظريات وما من أحد يشك فى فضل هذه الآلات والنظريات الحديثة على تلك المنتجات .

ومع أن هذا العمل من صميم ما تعنى به المدارس الزراعية فاننا نرى حتى الآن أن تجارة الزبدة فى جميع أنحاء القطر لا تزال فى أيدى نسوة من الفلاحات الجاهلات بدل أن تصبح فى أيدى هؤلاء الفنيين الذين ما زالوا يتعلقون بأهداب وظائف الحكومة مع ما حل بهذه الوظائف من مسخ .فكثير من هؤلاء الفنيين يسعى للحصول على وظيفة فى مقاومة الدودة أو تخبير الحدائق ب قدره خمسة جنيهات شهريا ومستقبل لا يبشر صاحب هذه الوظيفة بأن يبلغ مهما طال الأجل أكثر من ثمانية جنيهات فى الشهر .

لو أن هؤلاء الشبان بعد أن تعلموا فى المدارس الزراعية عادوا إلى قراهم فأنشأوا فى كل قرية أو بضع قرى مصنعا صغيرا لصناعة الجبن والزبدة بالآلات الحديثة لعاد عليهم بفائدة كبيرة ، وعلى أهل تلك القرى بشىء من اليسار لا عهد لهم به ، وليس انشاء هذا المصنع فى حاجة إلى رأس مال ضخم ولا إلى مصاريف كبيرة نظرا لانخفاض الأجور فى القرى وانخفاض سعر اللبن .

ولعل قلة الجاموس والبقر فى القرى الآن سبب فى احجام الشبان الزراعيين عن التفكير فى مثل هذا العمل ، فتوزيع العجول الإناث على صغار الفلاحين كفيل فى قليل من الزمن باغراء الشباب على توجيه نشاطهم إلى هذه الناحية بدل الوقوف صفوفا أمام باب الوظيفة ينتظرون الدور الذى لن يجىء ، وإذا جاء فلا يجىء إلا بالفقر وصغر الشأن وإضاعة العمر فى عمل لا يدر من الربح إلا ثمن القوت ، يفرح به الشاب الصغير السن لأن حاجاته قليلة يفى المرتب الضئيل بها ، ولكنه متى تزوج وأصبح رب أسرة ولو تألفت الأسرة من طفل واحد فانه يصبح فى عداد الفقراء بعد أن كان وهو شاب صغير يعتبر نفسه من الشباب الراقى الميسور .

إنى أظن أنه حرى بالشبان الذين تخرجوا من مدارس الزراعة أن يستغلوا علمهم فى صناعة الألبان بدل أن يتركوا تلك الصناعة يستغلها الجهلة من النسوة استغلالا يضيع مافيها من ربح وفائدة ، ولكن شرط القيام بذلك العمل هو استعداد الشباب للكفاح وتحمل العيش فى القرى النائية ، يشترى اللبن من قريته والقرى المجاورة ويطبق العلم الذى تعلمه على العمل فانه لا يكاد يقضى فى ذلك العمل بعض الوقت حتى يبلغ كسبه أضعاف ما كان يطمع فيه من صغير الوظائف .

ولعل القارئ يقول ما شأن هذا وتحسين حال الفلاح فان ذلك معناه فتح باب العمل لخريجى المدارس الصناعية ، ولكن انتشار هؤلاء المتعلمين فى الريف وانتشار مصانع منتجات الألبان سيجعل الفلاحة الفقيرة تنتفع من لبن جاموستها أو بقرتها أضعاف ما تنتفع به الآن .

غير أن هذه الصناعة لا ينتظر لها من الازدهار قسط كبير قبل أن يعم مشروع توزيع إناث البقر والجاموس على الفلاحين كما أسلفت فى المقال السابق .

عريان سعد